

من البلاغة الأدائية إلى البلاغة التواصلية

From instrumental rhetoric to communicative New Roman

الدكتورة ليلي غضبان * (1)

قسم اللغة العربية جامعة الجلفة، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz

تاريخ النشر: 2022/12/30

تاريخ القبول: 2022/12/28

تاريخ الإرسال: 2022/01/21

الملخص:

العلاقة بين اللغة والوعي كانت مركز البحث النفسي والفلسفي والبلاغي، لأن دراسة هذه المسألة تجعل من الممكن ليس فقط توضيح طبيعة الوعي واللغة كظواهر فريدة تحدد كل شيء بشريّ فينا، ولكنها تتيح أيضًا تتبع تطورها لتشكيل وعينا الذاتي والاجتماعي والبياني. يعد الوعي والبيان أهم مكونين في شخصية الإنسان، ومتلازمين لتكوين الإنسان الوقاف المتمتع بمكارم الأخلاق، فنحن كائنات بلاغية في جوهرنا .

سيطر علينا العق الأداة في مختلف مظهراته؛ والتي كانت اللغة أهمها وأعمقها، لتتم الدعوة إلى العقل التواصلية، ليكون الحوار ومنه اللغة والبلاغة سيدة الفضاء العمومي.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، أدائية، فلسفة التواصل.

Abstract:

The relationship between language and consciousness has been the center of psychological, philosophical and rhetorical research, because the study of this question makes it possible not only to elucidate the nature of consciousness and language as unique phenomena that define everything human in us, but also makes it possible to trace our evolution to the formation of our self, social and graphic awareness. Awareness and eloquence are the two most important components of the human personality, and they correlate with the formation of the human endowment enjoying morals, as we are rhetorical beings in our essence.

The instrumental kinship dominated us in its various manifestations; Language was the most important and deepest, in order for the communicative mind to be called, so that dialogue, including language and rhetoric, would be the master of the public space

Keywords: Rhetoric, instrumentality, philosophy of communication.

1 مقدمة:

تقوم وسائل الإعلام بدور تغييري مهم على مستوى الفرد والعائلة والمؤسسات و المجتمع، خاصة في زمن ما بعد الحداثة وما كرسته من تعددية (إيجابية، وسلبية). كيف أدت بلاغة الجمهور دورها إعلاميا في حالة الحداثة السائلة؟ يضع البحث مجموعة فرضيات: بلاغة الجمهور الإعلامية رحبة و متجددة.

عصرنا اليوم عصر ما بعد الأخلاق، أو كما يسميه عالم الاجتماع سيغمونت باومان بعصر الشر السائل والمراقبة السائلة والثقافة السائلة وعصر التقاهة وعصر موت الإنسان وموت التاريخ وموت الجغرافيا ونهاية المجتمعات والسعادة المتناقضة والفردانية الجديدة وعصر الفراغ بتعبير جيل لييوفتسكي. هذا ما ظهر بقوة كنتاج طبيعي للثورة الصناعية الثالثة (الثورة الرقمية)، وظهور سيولة في التواصل وظهور الجيل الخامس G 5 و الجيل السادس G 6، ونحن أمام تسمية جديدة وهي الثورة الصناعية الرابعة، وأول ما تجلت فيه موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك حيث قام مؤسسه بتغيير التسمية إلى meta، وظهور الميتافيرس.

كحل يقترح البحث نظرية التواصل ليورغن هابرماس كخطوة لتجاوز هذا الخطاب لننتقل من العقل الأداتي إلى العقل التواصل، ومن بلاغة الكراهية إلى البلاغة التواصلية. عصرنا اليوم يستثمر اللغة ويشغل عليها؛ لأن اللغة هي رؤيتنا للعالم.

2 البلاغة:

2-1 البلاغة لغة:

البلاغة هي: "حسن البيان وقوة التأثير (...) ومبلغ المنتهى" (العربية، 2004) فهي تجمع بين: الجمال، التأثير، الانتهاء إلى الغاية.

2-2 البلاغة اصطلاحا:

البلاغة هي الإنسان ف "الإنسان ذو ذهن والذهن عنصر مشترك بين جميع البشر إذن، يمكن أن نفترض أن الجانب المعرفي عند الإنسان هو ذلك العنصر الذهني باعتباره القاسم المشترك بين بني آدم"

(لايكوف، جونسون، 2009، صفحة 102) فالبلاغة وعي الإنسان أولاً، ثم تعددت أشكال التعبير عنه (لفظية وغير لفظية).

نجد ابن المقفع ذكر أن "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطاباً، ومنها ما يكون رسائلًا (...) فعامّة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى [أبلغ] والإيجاز هو البلاغة ...". (وائل، 2014) ويزيد ابن المقفع "البلاغة كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق" (وائل، 2014) هذا يوسع حدود البلاغة فهي ليست قولاً وليست حقاً وليست باطلاً فحسب بل تتجاوزهم، فهي الكل المتعدد المختلف المكون للوعي الإنساني.

3- تعريف و معنى الكراهية:

(الكراهية) من (ك ر ه)، (مصدر كَرِهَ، كَرِهًا). -لَا أَعْرِفُ لِمَاذَا يُكْرَهُ لَهُ الْكَرَاهِيَّةُ: الْحَقْدُ، الْمَقْتُ، الْغَضَبُ.

قال الأزهري: ذكر الله عز وجل الكَرَّةَ والكُرَّةَ في غير موضع من كتابه العزيز، واختلف القراء في فتح الكاف وضمها.

قال قرأ نافع وأهل المدينة في سورة البقرة: وهو كُرَّةٌ لكم بالضم في هذا الحرف خاصة، وسائر القرآن بالفتح، وكان عاصم يضم هذا الحرف أيضاً، واللذين في الأحقاف: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا، ويقرأ سائرهم بالفتح، وكان الأعمش وحمزة والكسائي يَضُمُونَ هذه الحروف الثلاثة، والذي في النساء: لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا...

كراهة: الأرض الغليظة الصلبة... استكره يستكره، استكراهاً، فهو مُستكره، والمفعول مُستكره. استكره سماع الكلام البذيء كرهه؛ استقبحه، وعدّه كريهاً. استكرهه على شرب الخمر: أجبره على شربها. -استكره المرأة: أجبرها على الفجور.

- أكره الشخص على الأمر أجبره عليه، أرغمه وقهره: -اعترف تحت الإكراه، - مُكْرَهٌ أخاك لا بطل [مثل]: يُضْرَبُ لِمَنْ يُكْرَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِعَمَلٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ، - {لَا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} - {وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ}.
- بالإكراه: عنوة.

• كَرِهَهُ الشَّرَّ/ كَرِهَ إِلَيْهِ الشَّرَّ بَعْضُهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ يَمْقَتُهُ :-كَرِهَ إِلَيْهِ التَّدْخِينِ، - {وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ؛ وَمِنْهُ فَإِنَّ الْكَرَاهِيَةَ تَحْمِلُ وَجْهَيْنِ؛ سَلْبِي وَإِيجَابِي؛ فَحَنَنْ نَكَرَهُ السَّيِّئِ، وَقَدْ نَكَرَهُ الْحَسَنَ. فَعِنْدَمَا نَقُولُ خُطَابَ الْكَرَاهِيَةِ؛ فَهُوَ يَحْمِلُ كِلَا الْوَجْهَيْنِ سَلْبِي وَإِيجَابِي؛ فَقَدْ يَكُونُ خُطَابُ كَرَاهِيَةِ السَّيِّئِ وَقَدْ يَكُونُ خُطَابُ كَرَاهِيَةِ الْحَسَنِ.

وَجَهٌ كَرِيهٌ :- : قَبِيحٌ. مَكَانٌ كَرِيهٌ الرَّايِحَةُ :- : نَيْنٌ، عَفْنٌ، مُنَعَفَقٌ. -إِنَّهُ رَجُلٌ كَرِيهٌ :- : حَقِيرٌ. أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ أَصَابَهُ شَرٌّ، شِدَّةٌ، بَلِيَّةٌ. -وَقَالَكَ اللَّهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ :- : -لَا أَرَاكُمْ اللَّهَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَكْرُوهًا. فِعْلٌ مَكْرُوهٌ :- : مَا يُسْتَحْسَنُ تَرْكُهُ فِي قَضَايَا الْفَرَائِضِ (المعاني).

4 التواصل:

اتفق أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير؛ أي التواصل، بمعنى أنها وسيلة لتبادل الأفكار ونقل الأخبار بين الأفراد، ولعل في حديثنا عن الاتصال والتواصل ما يوضح أكثر هذه الوظيفة.

1-4 الاتصال:

الاتصال لغة من " و ص ل " ومن معانيها :- بلغ وانتهى : حيث يقال : " و ص ل " (وصلت) الشيء من باب وعد و " صلة " أيضا و " وصل " إليه يصل وصولا أي بلغ" (الرازي، 1967، صفحة 81). اتصل : بمعنى ((دعا دعوى الجاهلية ، وهو أن يقول : " يا فلان " ، قال تعالى : " إلا الذين يصلون إلى قوم " / النساء : 90 / أي يصلون)) ، ومنه ((وصل الشيء بغيره فاتصل ، ووصل الحبال وغيرها توصيلا : وصل بعضها ببعض ... ووصلت شعرها بشعر غيرها ، " ولعن الله الواصلة والمستوصلة (الرازي، 1967، صفحة 361)

2-4 التواصل:

التواصل من "تواصل" على وزن تفاعل الذى يدل على:

1. المشاركة بين اثنين فأكثر
2. التظاهر : ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه.
3. الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئاً فشيئاً
4. المطاوعة : وهو يطاوع وزن " فاعل " ، مثل : باعدته فتباعد ، واليته فتوالى)) (الراجحي، 1974، صفحة 87)

3-4 بين الاتصال والتواصل:

من خلال ما سبق يتضح أن " الاتصال " و " التواصل " مشتركان في الجذر اللغوي " وصل " وكلاهما مصدر، فالأول " اتصال " للفاعل المزميد " اتصل " على وزن " افتعل " ، قلبن فيه الواو " وصل " وكلاهما مصدر، فالأول " اتصال " للفاعل المزميد " اتصل " على وزن " افتعل " ، قلبن فيه الواو

تاء " على الشكل الآتي : وصل : اوتصل وانتصل = اتصل ، قلبت الواو تاء ثم أدغمت في التاء المزيدة . والثاني " تواصل " للفعل المزيد " تواصل " على وزن " تفاعل " ومن هنا . وعلى الرغم من كونهما لا يأتیان في غالب الأحيان إلا متلازمين . يختلفان في المعنى وإن كانت ((هذه الاشتقاقات لا تكاد تبتعد عن المفهوم العام لما تتركب منه شبة لاتصال من عناصر حددتها نظريات الاتصال والإعلام تحديدا (واضحا .)) (مرتاض، د تاريخ، صفحة 25)

ويعود هذا الاختلاف لاختلافهما في البنية المورفولوجية ، فوزن " افتعل " وإن كان من معانيه كما يقول الصرفيون " الاشتراك " (الراجحي، 1974، صفحة 165) فإن فعل " اتصل " لا يدل على هذا المعنى ، لأنه لا يقع من فاعل واحد ، وهو في ما نرى لا يتعدى في معناه الوضعي مجرد إقامة علاقة مع شيء أو شخص عن طريق وسيلة معينة ، ولا يدل على معنى التواصل ، وهو ما يقابله في اللغة الفرنسية:

: Establish a relationship or link في الإنجليزية Etablir une relation ou un lien

أما الفعل الثاني " تواصل " فهو يدل على كما سبقت الإشارة على المشاركة في القيام بالحدث بين أكثر من اثنين في وقت واحد ، ولا يمكن أن يحدث فعل التواصل من حيث الزمان . إذا ما ربطناه في معناه الإنساني بفعل التخاطب والتحاور بين شخصين أو أكثر . إلا بعد فعل لاتصال ، بمعنى أن التواصل يلي مرحلة الاتصال ، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يكون هناك تواصل من دون اتصال ، وإن كانت هناك مواقف خاصة واستثنائية يحدث فيها اتصال ، لكن من دون تواصل ، وذلك إما لغياب أحد الطرفين في العملية التواصلية " الملقى والمتلقي " أو لسلبية أحدهما أو لغياب الرسالة ومن ذلك كما يحدث للبعض أحيانا أن يشكل رقما هاتفيا لاتصال بشخص ما ، ولكن بمجرد أن يرفع هذا الشخص السماعة يلتزم الطرف الآخر الصمت أو ينقطع الخط بينهما ، فهل هذا اتصال أم تواصل ؟ مما لا شك فيه أنه اتصال وليس تواصلًا.

ومن هنا يمكن القول إن الاتصال لا يعني أحيانا التواصل ، في حين قد يعني التواصل الاتصال وعليه فمفهوم التواصل في نرى أوسع من الاتصال ، وهو ما يعبر عنه باللغة الفرنسية (Communiquer .dictionnaire du Français primordial) : ، وباللغة الإنجليزية : Communicate ، لأنه ينطوي على معنى فعل Etablir un contact ou un lien التي تعني "اتصل "، وهو ما يخالف ما ذهب إليه عبد الجليل مرتاض الذي يقول : ((إننا نؤكد ما ألمحنا إليه آنفا من أن الاتصال أكثر عموما من التواصل والتوصل والمواصلة .)) (النيفر، 1993، صفحة 84)

يرتبط التواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر ، بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثل في الإبلاغ والإخبار والاطلاع من خلال المشاركة في ما يجري بين الأفراد من أحاديث ، وعليه فهو ((يخص التخاطب البشري ، ويختص بدراسة العلاقات بين الأشخاص الذين يفسرونها ويتأثرون بها)) (النيفر، 1993، صفحة 84) وهذا يعني أن التواصل يقوم على ((نشاطين رئيسيين هما : الكلام والاستماع ، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته) (النيفر، 1993، صفحة 84)

والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام ، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق الاتصال ، وعليه يمكن الاستعاضة عنهما فيها بالقراءة والرؤية ، ومن ثمة يمكن القول إن التواصل يقوم على الشروط الآتية : الكلام والاستماع أو القراءة والرؤية.

ومما سبق نتبين أن مفهوم التواصل ينحصر أساسا في الممارسة الفعلية للغة ، شفوية كانت أم خطية ، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق وتجسيد هذه الممارسة في الواقع الملموس، والوسائل طبعا متعددة ، فمنها اللغة الكلام ، الكتابة الرموز ، الإشارات ، العلامات والرسوم... إلخ . ومن هذه الوسائل ما يستدعي وسائل أخرى ففي الكلام مثلا قد نحتاج إلى الهاتف أو الصورة ، وفي الكتابة نحتاج إلى الفاكس ، البرقية الأنترنت...وما إلى ذلك مما توفره التكنولوجيا الحديثة ، وهذا طبعا بحسب موقف وموقع كل من طرفي العملية التواصلية.

إلا أنه وعلى الرغم من هذا التباين في دلالة المصطلحين ، فقد يراد بالاتصال عند البعد أحيانا التواصل والعكس صحيح ، وهذا بالفعل ما أفرزته التقنية الحديثة في مجال الاتصال حيث أصبح ((التواصل يعني انتقال المعلومات ومعالجتها وتقليبها Manipulation : في كل الأنظمة العلامية (النيفر، 1993 Semilogiques (ومن هنا فلا داع للاستغراب حينما هذا الخط في استعمال المصطلحين حيث لم يعد هناك ما يميز الاتصال عن التواصل في كثير من التعاريف ، فقد جاء في معجم التربية أن ((الاتصال هو " نقل خبر ما من شخص إلى آخر ، وإخباره به ، وإطلاعه عليه ، ويعني التواصل وحدتي التواصل والتوصيل أي إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما ، كما يشير إلى فعل التوصيل ، كما أنه يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل ، كما يدل على الشيء أي يتم تبليغه والمسائل التي يتم التواصل بفضلها)) (النيفر، 1993، صفحة 84)

ومن جملة التعاريف التي ورد فيها التواصل بمعنى الاتصال تعريف سامي ذبيان الذي يقول :
((الاتصال عملية تتم بين طرفين يتخاطبان ، يستطيعان عن طريق الاتصال بينهما أن يتشاركا في فكرة أو رأي أو شعور أو عمل ما ، ويمكن أ، يكون كل طرف من الطرفين شخصا واحدا والآخر عدة أشخاص، فيكون الاتصال عن طريق التخاطب بين شخص ومجموعة "حال المدرس والتلاميذ " أو حال " زعيم سياسي يخطب في جماهيره ، وأحيانا يكون التخاطب بين شخص واحد أو عدة أشخاص وبشكل غير مباشر كحال المذيعين الذين يتوجهون إلى مستمعهم)) (ذبيان، 1979، صفحة 42)

5 مفهوم الفضاء العمومي (حيسون، 2015):

أخذ يورغن هابرماس (1929-...) Jürgen Habermas مفهوم الفضاء العمومي (espace public) عن كانط E.Kant الذي قال به و تم استعماله بكثرة في مجال التحليل السياسي منذ سبعينيات القرن الماضي، فهو الفضاء الوسطي الذي تكوّن تاريخيا في زمن الأنوار بين المجتمع المدني و الدولة (Wolton)، (1997)، إنه أيضا المكان المتاح مبدئيا لجميع المواطنين حيث بإمكانهم الاجتماع لتكوين رأي عام.

لم يشرع الفكر النقدي في الفلسفة في تناول موضوع الفضاء العمومي كمبحث إلا في القرن التاسع عشر، جاء ذلك في خضم الاتجاهات التي ظهرت و تهم تحليل الهيمنة التي مارستها المؤسسات الرسمية في سعيها لبطط نفوذها عبر القول بمركزية سلطتها و شد الفرد إليها لأجل احتوائه.

كتاب " الفضاء العمومي: حفرية العمومية (publicité) كبعد مكون للمجتمع البورجوازي " هو موضوع أطروحة هابرماس في السوسيولوجيا بجامعة ماربورغ بألمانيا في 1961 ، عبارة عن دراسة لبنية و وظيفة النموذج الليبرالي للفضاء العمومي البورجوازي في أوروبا، يحلل فيه ظهور هذا النموذج و تحولاته التاريخية منذ العصر الهليني مرورا بالعصر الروماني حتى العصر الحديث، و يُبعد من الدراسة ما يسمى الفضاء العمومي العامي Plébéen الذي بقي مستترا مع مرور الزمن، وتفحص الدراسة أيضا المظاهر العامة للعناصر الليبرالية المكونة للرأي العام البورجوازي والتحويلات التي خضع لها في إطار الدولة الاجتماعية بأوروبا (Habermas J. , 1978, p. 25) وهو مزيج من "فينومينولوجيا الروح" لهيجل F.Hegel والنقد الإيديولوجي الذي قام به ماركس K.Marx ، أبرز هابرماس من خلاله اغتراب الوعي الجماعي (هيجل) داخل الدعاية و التفكك البنيوي للسلطة (ماركس) (طاهر، 1986، صفحة 95)

يعرف هابرماس الفضاء العمومي البورجوازي كفضاء لأشخاص خاصين مجتمعين على شكل عموم، هؤلاء الأشخاص يدافعون عن هذا الفضاء العمومي المنظم من طرف السلطة، وهم في نفس

الوقت ضدها، وذلك من أجل نقاش القواعد العامة للتبادل في ميدان تبادل السلع والعمل الاجتماعي (المجال الذي بقي خاصا وأهميته ذات بعد عام)، وسيط هذا التعارض بين الفضاء العمومي والسلطة هو وسيط أصلي لا سابق تاريخيا، إنه الاستخدام العمومي للعقل (J Habermas، 1978، صفحة 65)

مثلت العمومية عند كانط، السلطة الوحيدة القادرة على ضمان وحدة السياسة والأخلاق، ويعتبر الاستخدام العمومي للعقل بالنسبة إليه، شأنا خاصا للعلماء وبالخصوص العلماء الذين يقومون بإعداد مبادئ العقل الخالص أي الفلاسفة (J Habermas، 1978، صفحة 68)، من هذا المنطلق يرى كانط أن الاستخدام العمومي للعقل الخاص بنا يجب أن يكون حرا وهو الوحيد القادر على جلب الأنوار بين الناس واستخدامه الخاص يجب أن يكون محدودا جدا، غير ذلك فإنه يؤدي إلى عرقلة الأنوار.

اتخذ هابرماس، كأبرز مفكري الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت Francfort منحنى آخر في فهم "الأنوار" الذي تعتبر "الحداثة" مظهره الأساسي، معتبرا هاته الأخيرة "كمشروع لم ينجز (J Habermas) (1981, p. 73)، وأنه أسى فهم الأنوار، مخالفا اتجاه الآباء الأوائل للمدرسة (أدورنو وهوركهايمر...) باعتبارهم بأن ظهور الأنظمة التوتاليتارية في أوروبا النصف الأول من القرن العشرين كان من نتائج "حداثة الأنوار".

إن موضوع الفضاء العمومي هو "العموم" كحامل لرأي عام بوظيفة نقدية مسندة إليها صفة العمومية أي "عمومية النقاشات القانونية".

يميز هابرماس بين نموذج الفضاء العمومي المهيكل تمثيلا الذي ارتبط في أوروبا بالسلطة الفيوالية والكنيسة والبلاط الملكي ونموذج الفضاء العمومي البورجوازي الذي ظهر بعد اختفاء الأول نتيجة للتحويلات البنوية التي عرفها، فقد وعت البورجوازية بذاتها بعد تشكلها كطبقة قائمة وعملت على تكوين استقلال خاص بها تجاه السلطة عن طريق تأسيس قواعد الحوار والمناقشة العامة، تجلى ذلك بشكل واضح في إنجلترا نهاية القرن السابع عشر الميلادي وفي فرنسا نهاية القرن الثامن عشر وقد انتقل النقاش العمومي إلى الصالونات والمقاهي ثم إلى النوادي الأدبية وما لبث أن استقر كأحد البنود الرئيسية في الدساتير الغربية.

رصد هابرماس في مؤلفه السابق الذكر، تطور مفهومي "العام" و "الخاص" منذ العصر الوسيط انطلاقا من التعاريف الواردة في القانون الروماني حتى نهاية القرن الثامن عشر الذي عرف تفكك الخيوط العريضة لتطور "العام" و "الخاص" عبر سيرورة الاستقطاب أدت إلى الانقسام إلى عناصر ذات بعد عام وأخرى ذات بعد خاص، فمع الإصلاح الديني في أوروبا، تحولت مثلا الكنيسة كسلطة دينية إلى قضية

خاصة، فأصبحت حرية التدين لأول مرة جزءا من الحرية الشخصية وأصبحت الكنيسة كهيكل اجتماعي ضمن هياكل أخرى تدار بواسطة القانون العام كما فصلت "الميزانية العامة" عن ميزانية البلاط الملكي بعد أن كانت جزءا من مدخراته.

تميزت فترة القرن الثالث عشر الميلادي ببداية الرأسمالية التجارية والمالية (الميركانتيلية)، حيث ظهرت عناصر جديدة للتبادل، تبادل السلع والمعلومات مشكلة بذلك عناصر نظام توغلت في النظام الاجتماعي، فتبادل المعلومات لم يكن مرتبطا بحاجيات التبادل السلعي فحسب، بل أن المعلومات أصبحت هي الأخرى سلعا لدرجة أن كل معلومة منقولة عن طريق الكتابة إلا ولها سعرها الخاص بها.

5-1 التحول البنيوي لمؤسسات الفضاء العمومي:

كانت الحياة العامة في اليونان القديمة تدور في مكان السوق "الأغورا" Agora وهي غير مرتبطة مباشرة بهذا المكان، إنها مرتبطة بمدى استقلالية "المواطنين" في محيطهم المنزلي، فقد كان هناك تباين واضح بين فضاء المدينة (polis)، الفضاء المشترك للمواطنين الأحرار والفضاء المنزلي الخاص بكل فرد على حدة. كان "العموم" في فرنسا القرن السابع عشر يعني: القراء، الجمهور، المستمعين باعتبارهم المخاطبين والمستهلكين ونقاد الفن والأدب وقد شكل البلاط أول العموم، وكانت المدينة تشكل مركز نشاط المجتمع البورجوازي، ففي بلاط لويس السادس عشر كانت للاجتماعات صفة خاصة، يتم التداول مدة ستة أيام في الأسبوع، لكن سرعان ما أصبحت المدينة تضطلع بالوظائف الثقافية للبلاط.

تفككت بعد ذلك بنيويا الحياة العامة في البلاطات لتنتقل إلى الصالونات بالمدن، في فرنسا خلال تلك الفترة ضمت الصالونات الأدبية النبلاء وكبار بورجوازية البنوك والموظفين لتشكل ما يسمى بـ "الأنتاجنسيا"، كما أن البلاط في إنجلترا غدا مكانا للعائلة الملكية التي أصبحت تعيش منعزلة، ولا يتم الاقتراب منها إلا في المناسبات الرسمية في الوقت الذي اتجه فيه المفكرون والنبلاء إلى المقاهي وأصبح بالتالي للأدب مكانة خاصة في الصالونات الإنجليزية، عكس ما حدث في ألمانيا، فنظرا لأنها لا تتوفر على بورجوازية مدنية في تلك الفترة بالمفهوم الذي يؤسس لفضاء عمومي بورجوازي قادر على استيعاب التحول البنيوي للحياة العامة في البلاطات فلم يكن التطور حاصلا كما هو الشأن بالنسبة لإنجلترا وفرنسا لذلك نجد أن الفضاء العمومي المهيكّل سياسيا ظهر متأخرا بعدما ظهر في إنجلترا ثم في فرنسا وانتقل بعد ذلك إلى ألمانيا حسب فورستر. F.G.Forster :

أصبح المسرح يتمتع أيضا بمفهوم "العمومية" لحظة الكشف عنها في البلاطات والإقامات الملكية ، ففي عهد شارل الثاني في إنجلترا، كان المسرح تحت رعاية البلاط، ولم يكن في لندن ما يسمى بالمسرح الشعبي، أما في ألمانيا فلم يظهر المسرح الوطني إلا في 1766 بفضل جهود كل من: غوتشي

Gottched و ليسينغ . Lessing الموسيقى هي الأخرى شملها تحول، فحتى نهاية القرن الثامن عشر كانت مرتبطة بالفضاء العمومي المهيكل تمثيلاً (البلاطات والإقامات الملكية) وظهرت بعد ذلك النوادي الموسيقية حيث تحولت إلى مجموعات عمومية تقدم أنشطتها بمقابل وبهذا تحولت الموسيقى إلى سلعة. شكلت الجرائد إبداعاً خاصاً لنقد الفن والمنتجات الثقافية، ففي بحر القرن الثامن عشر، ظهر فضاء عمومي يضطلع بوظائف سياسية، تجلّى ذلك من خلال الصحافة التي لم تكن في السابق بيد المعارضة حيث استطاعت هذه الصحافة نقد السيطرة التي تمارسها المؤسسات الرسمية في صحافتها الخاصة بها، فقد ضمت ألمانيا نهاية القرن الثامن عشر ما يناهز 270 شركة للقراءة [xiv] وهي في حقيقة الأمر جمعيات متوفرة على محلات خاصة تمنح الإمكانية لقراءة الصحف والكتب والمحادثات فيما تمت قراءته، إن شركات القراءة هاته، كعموم يستخدم العقل، ليست لها أهداف تجارية، فجمعياتها تنتخب ممثليها بناء على قوانينها المنظمة، غايتهم الاستجابة لرغبات الأشخاص الخاصين ذوي الشروط البورجوازية الباحثين لتشكيل فضاء عمومي يضطلع بالقراءة والتعليق على الصحافة وتبادل الآراء الشخصية للوصول إلى المشترك بين هاته الآراء لخدمة مصالحهم الرأسمالية وهذا ما تم التعبير عنه بعد ذلك وبالضبط في 1790 بالرأي العام. "Offentlichkeit Meinung :

يشير هابرماس إلى أنه لا يجب الاعتقاد أن فكرة العمومية تحققت انطلاقاً من المقاهي والصالونات، ولكن بفضلها تمت مأسسة هذا العموم كفكرة أضحت مطلباً موضوعياً وحتى إن لم تصبح واقعا فقد لعبت دوراً محدداً، إن النقاش داخل عموم يفترض وضع موضع تساؤل مجالات لم تكن خاضعة للنقاش من قبل.

5-2 نظرية الفعل التواصلي عند يورغن هبرماس) نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس :قراءة

في المنطلقات والأبعاد،،):

يعتبر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس من رواد الفلسفة وعلم الاجتماع على مستوى العالم، كما أنه يمثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية. تتنوع كتاباته بين الفلسفة والسوسيولوجيا والايثيقا، بالإضافة إلى مئات الأبحاث والمقالات المنشورة في كبريات المجالات والجرائد الدولية. من بين الكتب والدراسات المعروفة عالمياً، نجد على سبيل المثال لا الحصر : "ملاحم فلسفية وسياسية، الخطاب الفلسفي للحدث، أخلاقيات المناقشة، الحق والديمقراطية، الاندماج الجمهوري، الأخلاق والتواصل ونظرية الفعل التواصلي".

ويعد كتاب نظرية الفعل التواصلي أهم كتاب في مشروعه الفلسفي؛ فهو كتاب يتوج مجهودات هابرماس في فترة الستينيات والسبعينيات، ويجمع مرجعيات فلسفية وسوسيولوجية وعلمية ولغوية مختلفة.

إذن، ما هي المنطلقات السوسiolوجية والفلسفية والعلمية لنظرية الفعل التواصلي؟ وما هي أبعادها السياسية والاجتماعية والأخلاقية؟ لا يمكن استيعاب مشروع هابرماس الفلسفي دون الرجوع إلى منطلقاته السوسiolوجية والفلسفية والعلمية.

3-5 فلسفة اللغة مع أوستين وسيرل وفيتنغشتين

أثناء بحث هابرماس عن أدوات علمية قد تساعد في عملية إعادة البناء، ستقوده الصدفة هذه المرة إلى إحدى الواحات الخضراء في صحراء الفلسفة التحليلية - الكلام هنا لهابرماس - يتعلق الأمر بالفلسفة التحليلية الأنغلوسكسونية، وبالتحديد فلسفة اللغة العادية الما بعد فيتنغشتينية، مع كل من أوستين وسيرل وستروسمان.

والحال هذه، فإن هابرماس سيعتبر نظرية أفعال الكلام في صيغتها أوستينية وسيرلية ابتكاراً رائعاً، ذلك أنها تتركيب بين اللغة من جهة والفعل من جهة ثانية (خلفي ، 2011/2012، صفحة 73) وعليه، فإن هابرماس سيستعير التمييز المهم الذي وضعه أوستين بين أفعال الكلام التقريرية والإنجازية، كما سيعمل على إعادة صياغته.

وبعد قيامه بتعديلات من داخل نظرية أفعال الكلام، سينتقل هابرماس إلى إعادة بناء النظريات السوسiolوجية التي سجلها، ولنقف الآن عند النظريات الليبرالية والنفعية للعقلانية والفعل الاجتماعي.

1توجه فعل / وضعية فعل 2 موجه نحو نجاح 3 موجه نحو تفاهم

4غير اجتماعي 5 فعل أداتي

6اجتماعي 7 فعل استراتيجي 8 فعل تواصلي

إن الفعل الأداتي يتوجه نحو تحقيق النجاح من خلال السيطرة التقنية على العالم الموضوعي، لهذا فإنه لا يعتبر فعلاً اجتماعياً، لكونه لا يتم عبر وسيط اللغة، وبالمقابل يعد الفعل الاستراتيجي هو الآخر فعلاً أداتياً، على اعتبار أنه يسعى إلى تحقيق النجاح، مع فارق أنه يتم عن طريق اللغة. وبما أن الفعل الاستراتيجي فعل يتم عبر وسيط اللغة، فإن نموذج العقلانية والفعل الاجتماعي اللذين تقدمهما النظريات الليبرالية النفعية تبقى نماذج أحادية الجانب واختزالية. ورغم أن هابرماس يقر بأن الفعل الاستراتيجي فعل اجتماعي، إلا أنه فعل يميزه عن الفعل التواصلي، لكون الأول يرتبط بتحقيق النتائج والمصالح، بينما الثاني يسعى إلى تحقق التفاهم.

-البعد الأخلاقي: فبعد أفول الأخلاق الدينية والتقليدية في الغرب، جاءت أخلاقيات النقاش لتطرح البديل؛ إخضاع الآراء والقناعات والاختيارات للنقاش شرط لتحقيق الموضوعية والنزاهة والاتفاق، وبذلك

يصبح في الآن شرطا لاجتتاب العنف اللفظي والمادي والحروب والاستبداد. ليست أخلاقيات النقاش مذهبا ولا نسقا من القيم والمعايير، بل هي كما يقول ابل إجرائية تراسدنتالية تجمع شروط مناقشة أطروحات ومبادئ عملية في المجال الأخلاقي والسياسي بحثا عن امتحان مشروعيتها ومعقوليتها وصلاحياتها.

وتجدر الإشارة إلى أن لأخلاقيات المناقشة أربعة افتراضات أساسية:

أولا: ضرورة توفرها على المعقولية التي يتم إنجازها بفعل جملة مركبة تركيبيا صحيحا، تحترم قواعد اللغة المستعملة.

ثانيا: يتعلق الأمر بحقيقة مضمون القول التي تضمن وظيفيا وصف حالة واقعة مجردة وغير مستوحاة من الخيال.

ثالثا: يتعلق الأمر بمصادقية التلفظ، باعتبارها وظيفة لإقامة علاقة مستقيمة ما بين الأشخاص، ويتكفل هذا الادعاء بموضوع تطابق الفعل اللغوي مع مقتضيات مخطط معياري سابق معترف به من طرف المجتمع.

رابعا: يتعلق الأمر بصدق ما يقال بالقدر الذي يسمح به للمتحدث بالتعبير عن نوايا محددة، وبطريقة صادقة بعيدة عن الكذب والتضليل.

تتحدث هذه المبادئ الأربع من "الحالة المثالية للكلام"، وللشروط الصافية لخطاب يتوخى احترام معايير الصدق الصارمة، أو ما يطلق عليه جماعة التواصل غير المحدودة عند هابرماس، وهي صورة المجتمع الذي يتواصل فيه أعضاؤه بطريقة سليمة. ويمكن إجمال اعتبارها شروطا لا يستقيم من دونها تواصل عقلاني بين المتحدثين (المصدق، 2005، صفحة 84)

6 بلاغة حراك الشارع:

حراك الشارع شهد حضور متعدد ومختلف (امرأة/ رجل)، (كبير/ صغير)، (نخبة/ عامة)، (غني / فقير)، (جد/ هزل)، جعل حراك الشارع الجزائري من يوم الجمعة يوما له، "الجمعة" استعارة لما هو أفضل، فهي أفضل أيام الأسبوع عند المسلمين، وفيها صلاة الجمعة، وتحمل دلالة الجمع للمختلف، فكانت شعارات الشارع دستورا متنوعا، مختلفا، متناقضا (صور، كتابة، صوت، رسم، أزياء، أكل...الخ). يذكر البحث بعض الشعارات نحو: (الجزائر جمهورية ماشي ملكية)، (سلمية سلمية)، (جيش شعب... خاوة خاوة)، (لاخوف لارعب...الجزائر ملك الشعب)، (الجزائر دولة مدنية ماشي عسكرية)، (لن نرحل أنتم من سترحلون)، (يتتحاو قاع)، (الشعب هو البطل الوحيد...أنتم موظفون عند فخامة الشعب)،

فشعارات الحراك في الشارع استعارات للشعبي والهامشي الذي يريد: السلام، الأخوة، الأمن، الوطنية، تفرض مركزيته السلطة المفروضة عليه من قبل الحكام.

تشهد شعارات الحراك أيضا صعود الجانب المقدس للذات، من خلال شعارات موجهة للآخر (فرنسا وأمريكا) نحو: (يا فرنسا مضي وقت العتاب)، (ماكرون اهتم بأهلك... الجزائر أكبر منك)، (عزيتي الولايات المتحدة و من معها...الجزائر ليست شأنكم). البحث لا يتناول الحراك من جانب سياسي، وإنما من زاوية بلاغية فبالغة الحراك الجزائري مبنية على التعددية، الاختلاف (شاوي، قبائلي، مزابي، عربي...كلنا جزائريون)، هذا ما كتب في أحد الشعارات الشارع مختلف متعدد ولكنه واحد (جزائري)؛ تعددت الأعراق والقبائل ولكن الوطن واحد.

كذلك اختلفت اللغة (عربية، فرنسية، أمازيغية، إنجليزية) نحو: بالعربية وردت شعارات بالفصحى مثل: (سغرق تحت الأمطار كي لا يغرق أولادنا في البحار) شعار حملته شاب جزائري كناية عن خروج الشعب يوم جمعة ماطرة ليعبر عن طموحه في وطن لن يهاجر أبناؤه منه في قوارب الموت (الحرق) إلى أوروبا. وردت شعارات بالدارجة الجزائرية (المتعددة والمختلفة) مثل: (ياو روحو...الجمعة الجاية عندي شغل...) كناية عن مكوث السلطة الطويل رغم مطالبة الشارع لها بالرحيل. (ما يبقى فالبلاد غير شعبو) الشارع يعبر عن مركزيته وهامشية النظام. توجد أيضا شعارات بالفرنسية مثل:

Nous ne sommes ni kabyles ni chaouis ni arabs ni mozabites ni touargs

nous sommes unes Algérie unie...

حضرت الإنجليزية في شعارات حراك الشارع الجزائري كناية عن ثورة ضد اللغة الفرنسية "وكان الحراك الشعبي الجزائري، وخاصة في مظاهرات الطلبة قد طالب وزارة التعليم العالي بالجزائر بتغيير لغة التدريس بالجامعات الجزائرية، من الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية..." ، ومن هذه الشعارات

(our live begin to end the day we become silent about things that matter)

وهذا ما أيدته شعارات بالعربية نحو: (العالم يتساءل !! ماذا يحدث في الجزائر؟ الشعب يرد...إننا ننظف قمامة فرنسا من بلدنا.)

تجاوزت بلاغة الحراك اللغة العامة إلى اللغة الخاصة كالرياضيات مثل: $(4+1=0)$ ، في رمز لأربع عهديات للرئيس (عبد العزيز بوتفليقة) إضافة إلى العهدة الخامسة (زائد واحد) يساوي العدم.

التناص أيضا حضر في شعارات الحراك كبلغة. يقول محمد العمري "....التناص ليس من باب البضاعة التي ترد إلى أهلها، بل قوامه الحوار بين الواقع الآني والذاكرة الحية ترد إلى أهلها، بل قوامه الحوار بين الواقع الآني والذاكرة الحية النقادة المنقوية" ، التناص استعارة لنص سابق بعد تفاعل معه

بأشكال مختلفة. وردت شعارات فيها تناص نحو: (كل الشوارع تؤدي إلى الحرية)؛ إنه استعارة للمثل (كل الطرق تؤدي إلى روما): و كناية أن الشارع الجزائري ينشد الحرية، إنتاجية بلاغة الشارع فهي بلاغة سريعة. إضافة إلى وجود الصورة، الرسم، السخرية... لكن البحث يطرح تساؤلا هل يمكن في ظل بلاغة حراك الشارع الجزائري أن ينشأ حراك آخر أدبي فيثور الهامشي على المركزي؟ أو تنشأ أشكال أدبية جديدة؟ الأرجح أن التاريخ كفيل بالإجابة عن هذا مستقبلا. هل يمكن لهذه البلاغة المتعددة المختلفة أن تفكك ذاتها؟ أي تصل إلى مرحلة اللا معنى؟ التاريخ أيضا هو من يتكفل بهذا.

7 الخاتمة:

بالرغم من كل الانتقادات الموجهة إلى نظرية هابرماس، فلا يزال يتربع على عرش كبار الفلاسفة في العالم المعاصر. ونحن في العالم العربي، لا يسعنا سوى الانفتاح على مشروع هابرماس نظرا لغنى وتنوع إنتاجه من جهة، ومن جهة أخرى مواكبته للأسئلة المعقدة للإنسان المعاصر. فما أحوالنا اليوم إلى الانكباب على إنتاجات هابرماس! خاصة في تنظيره للتواصل والفضاء العمومي والحادثة والمواطنة لتبنيها وتعميقها في المجتمعات العربية.

والآن بعد تبشير الربيع العربي: هل نحن قادرون على بناء مجتمع ديمقراطي حداثي قائم على أخلاقيات الحوار والمناقشة، لا على العنف والصراع؟ وهل نحن قادرون على إدارة اختلافاتنا الإيديولوجية والإثنية واللغوية؟ تلکم بعض الأسئلة التي لن تجيبنا عليها سوى الأيام القادمة؛ فهل نكون في مستوى تطلعات شعبنا ودماء شهدائنا؟

المراجع

- j Habermas. (1981). *La modernité. un projet inachevé*. Revue Critique.
- Habermas Jürgen. (1978). *l'espace public. (Critique de la politique*. (Marc b)، المترجمون) Paris: Payot : 'Launay.
- الراز. (1967). *مختار الصحاح* (المجلد د ط). بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- جورج، مارك لايفوف، جونسون. (2009). *الاستعارات التي نحيا بها* (المجلد ط 2). (عبدالمجيد جحفة، المترجمون) الرباط، المغرب: دار توبقال.
- حافظ وائل. (2014). *الجامع لأقوال ابن المقفع مما ليس في كتبه المطبوعة*. تم الاسترداد من www.alukah.net
- حسن المصدق. (2005). *هابرماس ومدرسة فرانكفورت* (المجلد ط 1). لبنان/المغرب: المركز الثقافي العربي.
- حمزة خليفي . (2012/2011). *عرض حول ماكس فيبر*. تطوان، المغرب: منشورات الجامعة.

- سامي ذبيان. (1979). مدخل نظري وعملي إلى الصحافة اليومية والإعلام : الموضوع والتقنية والتنفيذ . لبنان: دار المسيرة.
- عبدالجليل مرتاض. (د تاريخ). اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي. الجزائر: دار هومه.
- عبد الراجي. (1974). التطبيق الصرفي. لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- علاء طاهر. (1986). نظرية هابرماس النقدية. بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.
- معجم المعاني. (بلا تاريخ). <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D8%A9>
- مولاي حيسون. (18, 09, 2015). الفضاء العمومي عند يورغن هابرماس. أنفاسنت من أجل الثقافة والإنسان.
- نظرية الفعل التواصل عند هابرماس : قراءة في المنطلقات والأبعاد ، . (بلا تاريخ). مدارات ثقافية، مجلة إلكترونية.
- نظرية الفعل التواصل عند هابرماس : قراءة في المنطلقات والأبعاد، مدارات ثقافية، مجلة إلكترونية، https://www.madaratthakafia.com/2014/02/blog-post_25.htm. (بلا تاريخ).
- نور الدين النيفر. (1993). فلسفة اللغة واللسانيات. مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع.